الباب الثاني

منهج الأدب الإسلامي لدى الإلوري

obeikan.com

obeikan.com

الفصل الأول

مفهوم المنهجية

ومن الثابت أنّ المنهج الإسلامي فكرة مستحدثة على مسرح الحياة الأدبية ، وصياغة معاصرة على مدار الذوق الفنّي إلاّ أنها تنطلق محكمة النسج قوية البناء أصيلة العتق في التراث الإسلامي وتنبع من منطق هذا الدّين الحنيف القائم على فطرة الله جلّ شأنه لعباده ، ومكنهم من تنمية مواهبهم بسنن الكون وعوامل الطبيعة ، وليست فلسفة تخضع مقولاتها لأهواء معسكرات فكرية تسير وفق ميولها ونزواتها ، وهي إن نفعت فئة أضرت أخرى على نحو ما بنى عليه أصحاب المذاهب الأدبية الحديثة مقولاتهم ونظرياتهم قواعد فلسفيّة جدلية ، حسب تصوراتهم التي تنم في إجرائها وتحريرها عن نتائج وحقائق ذات تباين المواقف ، والاختلافات ، والاتجاهات ، وبناء على ذلك اقتضت صياغة منهج الأدب الإسلامي ضرورة الحياة التي تمرّ بها هذه الأمة ، إذ لا تزال تمثّل عنصرا بشريّا ناميا يتأثر ويؤثر في نواميس الكون وفق هدي دينهم .

والواقع أنّ الإنسان منذ آماد بعيدة قد ظلّ يدرس الأدب ، ويختاره على حدود الطاقة والمقدرة اتجاها مناسبا تطمئن به نفسه ، ويميل إليه عقله ، وهو بهذا وذاك يجد وراء تنفيس ما يراوده من التجربة أملا ، أو ألما ، ورخاء ، أو بؤسا ، وسواء اصطنع الإنسان منهجا مقرّرا أم لم يفعل ؛ فإنّ الذوق العام سيحكم بإيجاد قانون يتعارف له أفراد كلّ جماعة ، ويعدونه سنتهم في مناحي كلامهم كما تجرى لهم مناهج عدّة في جميع مناكب الحياة[1].

---

(1) عبد المحسن سلام ، محاضرات في المذاهب الأدبية ، ألقاها على طلاب قسم الأدب والبلاغة ، جامعة قاريونس ـ ليبيا ١٩٧٦م.

ومن ثمّ ظهرت النزعات الأوربية في مذاهبها الأدبية تحت ظلّ نمو عقلها منذ أن علم شعوبها بالضرورة الفنية ؛ أن نشاطهم الأدبي ينبغي أن يتحاكم إلى مقياس منطقي أسوة بغيره من الفنون والعلوم التي أوضحت لهم مسالكهم في مواكبة الظروف الجديدة .

والمقطوع به ، أنّ القاعدة المحرّرة مهما استقامت في زمان فإنّها تحتاج في حقبة أخرى إلى المعاودة والمراجعة والتجربة ، لإحكام لأحكام وتدقيقها وتمحيصها على نحو ما يطرد تطبيقها على نماذج عدّة ، حتى تغدو صالحة لمواقفها الراهنة على اختلاف أنواعها وأنماطها .

وساعدت على تنمية هذا الشعور وإذكائه تطورات وتيارت وضعت غورا عميقا في المسيرة الإنسانية ، وأرّخت لها نقطة هامة تؤتي دروسا وعبراً ترتّبت من عواقبها انقسامات وتكتلات في ميادين العلم ، والفكر ، والاقتصاد ، والسياسة ، فقام الأدب خير قيام لتسجيل تلك الآثار بالإبداع الفني والقول الجميل ، وأوضحت الغاية منه احتراما متبادلا بين العواطف الإنسانية ، ولذا ، فإنّ المذاهب الأدبية الأوربية إذا رعتها روح نبيلة بالتزام قانون التأثّر والتأثير وتوقير المشاعر البشرية ، فإنّ كل مجموعة لا تعيش معزولة ومهضومة ، ذلك بأنّ الأدب المقارن لا يعني التتبع المفرط لمعرفة السابق واللاحق فقط ولكنه منطقة التلاقي بين الآداب بقطع النظر عن اختلاف الأشخاص والبيئات ما دامت العواطف إنسانية النزعة[1].

فإذا صاحب ذلك الهدف النبيل نشأة المذاهب الأدبية الغربية فكرة مراودة في أوّل أمرها ، ثمّ تطوّرت به عبر الاتجاهات الفلسفية ولم تزل معه ، فاتخذت أشكالا ذات حدود أدبية متميّزة ، وفي ظلّ هذه الظروف السعيدة وما إليها مجتمعة اقتضت صياغة منهج الأدب الإسلامي مسايرة للحضارة والمدنية التي

---

(1) هلال ، دكتور محمد غنيمي ، الأدب المقارن ، دار نهضة مصر للطبع والنشر ، الفجالة ـ القاهرة ، ص: ١٥-٢٤.

ينشدها الكون والحياة على وفق منهج المولى الذي أضاء إليه الأنام برسوله الكريم ، ولم يزل يحمل أمانته نخب من برية الله أدباء ، وفنانين ، ونقادا ، من ذوي الهمم العالية ، وأولي الأهداف والمقاصد الجليلة ، وحتى لا يستبدّ الظنّ والوهم فيوحي بأنّ هذا المصطلح مستحدث معاصر ، واتجاه فلسفي مقلّد خاضع لعوامل ومؤثّرات أجنبية ، وعلى هذا فإنّه يجدر تتبّع أبعاد الكلمة في القواميس العربية الأصلية ، وسنلقى أنّ هذا العنوان أتى مركّبا من مفردات ذات دلالة قويّة في عالم الفنّ والبيان ، تؤتي المغزى الجليل وجوها صحيحة في الأصالة ، والعراقة ، والعتق ، والقدرة والإمكان لمسايرة ركب الحياة والحضارة في المعارج الإنسانية .

وأما المنهج ، فإنّه من (نهج ، ينهج منهجاً ومِنهاجاً ونهجاً) بمعنى : طرقه ، والمنهج مصدر ميمي ، أو اسم مكان أو زمان من نهج ينهج نهجاً ، ـ بفتح فسكون ـ بمعنى : الطريق الواضح البيّن ، وهو النهج محركة أيضا ، والجمع ، نهجات ونهوج ، قال أبو ذؤيب الهذلي :

بـــه رجمـــات بينـــهُن محـــارم نـــهوج كليـــات الهجـــائن فـــيح[1]

و« المنهج ؛ هو الطريق الواضح ، وكذلك المنهج ، والمنهاج ، وانتهج الطريق أي استبان وصار نهجا واضحاً بيناً ، ونهجت الطريق ، إذا أبنته ووضّحته ، ويقال : اعمل على ما نهجته لك ، قال يزيد بن خلف العبدي :

ولقد أضاء لك الطريق وأنـــهـــجت منه سبل المكارم والهـــدى تعـــدي[2]

ومنه ما جاء عن العباس ؛ أنّه ﷺ « لم يمت حتّى تركككم على طريق ناهجة ، أي : واضحة بيّنَة ».

---

(1) الزبيدي ، محمد مرتضى ، تاج العروس من جواهر القاموس ، دار صادر ، مادة « نهج» ، ص : ١٠٩.

(2) الأزهري ، تهذيب اللغة ، مادة « نهج »

«المنهج ؛ طريق بيّن واضح هو النهج» قال أبوبكر كبير :

فأجزته بأقل تحسب أثره نهجا أبان بذي فريع محرف[1]

وقد تخيّر البُحتُرِي (المنهج) على نظائره لما يراه من دقة المعنى في الوضوح والقوّة :

والشعر ظهر طريق أنت راكبه منشعب وغير منشعب

وربما ضمّ بين الركب منهجه وألصق الطنب العالي من الطنب[2]

وكذلك ورد المنهج بفتح الميم بمعنى الطريق الواضح في قول العلاّمة عبد الله بن فودي :

جبريل من جبر الإله به لنا دينا حنيفا مستقيم المنهج[3]

ووردت المادة في قوله بضم المنهج من أنهج الرباعي باب (أفعل) للإثبات أولاً وللنفي ثانياً على سبيل الجناس التام :

والدين في عز ونهج مُنهج والكفر في ذل ونهج مُنهج[4]

على سنن قولهم أورقت الشجرة ، وأثمرت ، بمعنى ؛ ثبتت لها الورقة والثمرة ، وأقذيت من عينيه ، إذا أخرجت القذى منهما ، ومعنى ذلك أنّ الله قد أعاد للسنة والإيمان الثبات والبقاء ، وأزالهما عن البدعة والكفر على يدي الشيخ عثمان وأتباعه .[5]

---

(1) ابن منظور ، لسان العرب ، دار صادر ، بيروت ، مادة « نهج »

(2) القاضي عبد العزيز الجرجاني ، الوساطة بين المتنبي وخصومه ، شرح وتحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم وعلي محمد البجاوي ، المكتبة العصرية ، صيدا ـ بيروت ، ص٢٦٠.

(4,3) ابن فودي عبد الله ، ديوانه ـ تزيين الورقات ، ص:٢٢.

(5) عبد الباقي شعيب أغاكا ، أساليب بلاغية في ديوان عبد الله بن فودي ، مطبعة المضيف ، إلورن ، ط٢ ، ١٤٢٦هـ - ٢٠٠٥م ، ص: ٨٦.

وجاء قول الزبيدي من نهج الطريق ؛ إذا وضح واستبان . وأنهجت الدابة إذا سارت عليها حتى انبهرت وأعيت ، وفي حديث عمر رضي الله عنه ، فضربه حتى أنهج أي وقع عليه الربو ، وافتعل متعد يقال فلان لينتهجه في النفس ، فما أدري ما انتهجه ، وأنهج البلى الثوب ، أخلقه كنهجه ومنعه ينهجه نهجا ونهج وأنهج البلى ، وأنهجه البلى فهو منهج ، وقال ابن الأعراب كالثوب أنهى البلى وأنشد :

كالثوب أنهج فيه البلى أعيا على ذي الحيلة الصانع[1]

والمنهاج بالكسر ، وفي التنزيل : ﴿ لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا ﴾ (المائدة:٤٨) بمعنى الطريق الواضح[2] ، مبالغة استقصاء في بلوغ الشيء النهج المستقيم بمعنى أنّه الوسيلة الكبرى .

وقال محمّد بن يزيد : «شرعة» معناها ابتداء الطريق ، والسنة ، والمنهاج ، الطريق المستقيم ، وقال ابن عبّاس : شرعة ومنهاجا : سبيلا . وقال قتادة : شرعة ومنهاج الدّين واحد ، والشريعة مختلفة . وقال الفرّاء في قوله تعالى : ﴿ ثُمَّ جَعَلْنَاكَ عَلَىٰ شَرِيعَةٍ مِّنَ ٱلْأَمْرِ فَٱتَّبِعْهَا ﴾ (الجاثية:١٨) أي : على دين وملّة ومنهاج ، وكلّ ذلك يقال . وقال العتبي : على شرعة : على مثل ومذهب ، ومنه يقال : «شرع فلان في كذا وكذا ، إذا أخذ فيه» ومنه مشارع الماء ، وهي الغرض التي تشرع فيها الواردة . ويقال : فلان يشترع شرعة ، والشرعة العادة ، وهذا شرعة ذلك ، أي مثاله ، وأنشد الخليل يذمّ رجلاً :

كفاك ولم يختلف للندى ولم يك لومها بدعة
فكيف عن الخير مقبوضة كما حطّ عن مائة سبعة
وأخرى ثلاثة آلافها وسبعمائتها شرعة[3]

---

(1) الإفريقي ، لسان العرب ، مادة (نهج)
(2) الزبيدي ، مرتضى ، المرجع السابق والصفحة.
(3) الإفريقي ، لسان العرب ، مادة (شرع) وليست الأبيات ، كما وردت في أسرار البلاغة ، ص : ١٣٣.

ويقول الراغب الأصفهاني في «شرعة ومنهاجا» : فذلك إشارة إلى أمرين : أحدهما : ما سخر الله لكلّ إنسان من طريق يتحراه مما يعود إلى مصالح العباد ، وعمارة البلاد ، وذلك المشار إليه بقوله : ﴿ وَرَفَعْنَا بَعْضَهُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَٰتٍ لِّيَتَّخِذَ بَعْضُهُم بَعْضًا سُخْرِيًّا ﴾ (الزخرف:٣٢)

الثاني : ما يقبض الله لعباده من الدّين ، وأمرهم به ليختاروه اختيارا مما تختلف فيه الشرائع ، ويعترضه النسخ ، ودلّ عليه قوله : ﴿ ثُمَّ جَعَلْنَٰكَ عَلَىٰ شَرِيعَةٍ مِّنَ ٱلْأَمْرِ فَٱتَّبِعْهَا ﴾ (الجاثية:١٨).

قال ابن عبّاس : «الشّرعة ما ورد به القرآن والمنهاج ما ورد به السنّة» وقوله تعالى : ﴿ شَرَعَ لَكُم مِّنَ ٱلدِّينِ ﴾ (الشورى:١٣) فإشارة إلى الأصول التي تتساوى قبل الملل فلا يصح عليها النسخ ، كمعرفة الله تعالى[1] ونحو ذلك مما دلّ عليه قوله : ﴿ وَمَن يَكْفُرْ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ ﴾(النساء:١٣٦).

ويميل بعضهم إلى المعنى المجازي : إنّ الشريعة والمنهاج يلتقيان في سياقهما على الإطار العام من الغرض . ونرى أحدهم يقول :

« شرعة وهي طريق إلى الماء شبه بها الدين لأنه طريق إلى ما هو سبب الحياة الأبدية ، ومنهاجا طريق واضح من نهج إذا وضح »[2].

ويذهب الآخرون إلى مفهوم أوسع دلالة يتعلّق بالاستنباط والقياس ، ومنهم من يقول : « المنهج يعني طريقا واضحا يجرون عليه ، وقيل هذا دليل على أنا غير معتدين »[3]. وقد اختاره البيضاوي ويبلغ في ذلك مبلغا عظيما ؛ إذ جعله موطن استدلال حيث ورد منه « إنّا غير معتدين بالشرائع المتقدّمة دون عابئين بما ورد صحيحا غير محرّف ولا منسوج »[4]. وسلك الإمام الشوكاني دقة التفصيل في معنى الآية :

---

(1) الراغب الأصفهاني ، مفردات ألفاظ القرآن ، ص: ٢٦٥.

(2) عبد الله بن فودي ، ضياء التأويل في معاني التنزيل ، ٢٤١/١.

(3) الزمخشري ، أبو القاسم محمود بن عمر ، الكشاف عن حقائق التنزيل ، وعيون الأقاويل في وجوه التأويل ، دار الفكر ، بيروت ـ لبنان ، ٩١٨/١١.

(4) البيضاوي ، عبد الله بن عمر ، أنوار التنزيل وأسرار التأويل ، ١٥٣/١.

« إنه جعل التوراة لأهلها والإنجيل لأهله ، والقرآن لأهله ، وهذا قبل نسخ الشرائع السالفة بالقرآن ، وأما بعده فلا شرعة ولا منهاجا إلاّ ما جاء به محمّد ﷺ » .[1]

وإذا كان المسلمون الأوّلون أعظم إخلاصا لاستغنائهم عن اليهود ، والنصارى وهم جميعا أهل الكتاب الذين لزم الإيمان بما لديهم تكملة لتصديق رسول الله صلوات الله وسلامه عليهم جميعا ، فنحن أولى بالاستغناء عمن كانوا في زماننا ، لأنّهم أسخف تحريفا لكلام الله عن مواضعه ، وإذا ثبت ذلك عن هؤلاء وهم أهل ملّة فما بالك بالملحدين المشركين الكفرة ، وهذا ما يشدّ المؤمن بعزيمة أولئك الأدباء المخلصين الغير على الإسلام تصديا لما يحكيه الخصوم من الحيل الأدبية والفنية ، مقدّرا حسن توجّههم إلى منابع عقيدتهم الصافية ؛ لأنها تغنيهم عمّا سواها ، وكما تترسخ كلمة « المنهج » في القاموس العربي الأصيل كذلك تحظى المفردات الأخرى بهذه الأصالة ، ومن ذلك ما تؤديها كلمة « الأدب » من دقّة وجمال ، وهي من أُدب بالضم أدبا بالفتحتين ومن ذلك ما يلي :

أولاً : الدعاء : « إذا صنع الإنسان صنعاً عجيباً ، ودعا الناس إليه »[2] وأدبهم جمعهم عليه يأدبهم إيداب جيرانك لتشاورهم ، يقول الشاعر :

وكيف قتالي معشرا يأدبونهم ... على الحقّ ألا تعشبوه بباطل

وقال طرفة بن العبد :

نحن في المشتاة ندعو الجفلى ... لا ترى الآدب فينا ينتقر[3]

---

(1) الشوكاني علي ، فتح القدير بين دفتي علم الرواية والدراية في التفسير ، دار الفكر ، ١/٧٠.

(2) الفيومي ، أحمد محمد المقري ، المصباح المنير في غريب شرح الكبير للرافعي ، ص: ١٢.

(3) السعيد ، سعيد ، ذيل أقرب الموارد في فصيح العربية والشوارد ، ص: ٦.

و« الجفلى » : العامة ، و« النقرى » : الخاصة ، و« الآدب » : صاحب المأدبة ، يقال : مأدبة ، ومنه قول النبي ﷺ ، عن ابن مسعود رضي الله عنه : « إنّ هذا القرآن مأدبة الله في الأرض فتعلّموا من مأدبته »[1]، شبّه القرآن بصاع وضعه الله للناس، ولهم فيه منافع ، ثم دعاهم إليه .

قال أهل العلم : معناه مأدبة الله وليس من الأدب ، وأكثر المفسّرين قالوا القول الأوّل ، وكلاهما في العربية جائز ، ويدلّ على القول قول الرسول ﷺ : إنا الجفنة الغراء التي يجتمع الناس عليها ويدعون إليها ، ويقال في الدعوة أدبه يأدبه أدبا ، قال الشاعر :

وما أصبح الضحّاك إلا كخالع عصانا فأرسلنا المنيّة تأدبه[2]

ومنه ما جاء في الأثر : إنّ لله مأدبة من لحوم الروم يمرح عكام يقتتلون فتنتابهم السبع والطير تأكل لحومهم .[3]

والمشهور في المأدبة بضمّ الدال ، وأجاز بعضهم الفتح ، وقال بالفتح منفعة من الأدب ، قال سيبويه : قالوا : المأدَبة كما قالوا المأدُبة ، وفي حديث علي كرّم الله وجهه : أما إخواننا بنو أميّة فقادة أدبة ، جمع آدب ، ككتب وكاتب[4].

ثانيا : حسن التناول : يقال للبعير ؛ أدّبه فتأدّب ، علمه إذا رضي ، وذلك أديب مؤدّب ، قال مزاحم :

وهنّ يصرفن النوى بين عاجل ونخبر أن تصريف الأديب المذلّل

ثالثا : التهذيب والتقويم : كحديث عتبة بن ربيعة : « يؤدّب أهله ولا يؤدّبونه ، وقول هند : سآخذه بأدب البعل مع لزوم قبتي ، وقلّة تفتلي ، ومنه

---

(1) ابن منظور ، لسان العرب ، مادة أدب ٢٠٧/١

(2) المبرد ، الكامل في اللغة والأدب ، ٥٨/٢

(3) السعيد ، ذيل أقرب الموارد في فصيح العربية والشوارد ، ص: ٦.

(4) الإفريقي ، لسان العرب ، مادة أدب ٢٠٧/١ .

قول الرّسول ﷺ : « أدّبني ربّي فأحسن تأديبي»[1]، والأدب يقع على كلّ رياضة محمودة يتخرّج بها في فضيلة من الفضائل .[2]

رابعا : العجب ، ومنه قول منظور بن جبّة :

بشجى المشي عجول الوثب

علابة للناجيات القلب

حتى أتى أزريبيها والأدب[3]

خامسا : الكثرة ، قال أبو عمرو جاش : أدب البحر ، هو كثرة مائه .[4]

وخالص القول ، إنّ كلمة الأدب عندما يقصد بها « الدعاء» تنهض هدف ترسيخ المنهج لتقيم للنصوص الأدبية وزنا عدلا عند تحقيق الأغراض الإسلامية الإعلامية حتى تبصر الأمة بما يدور حولهم من أحداث ، فيتأهّبون لما يجب عليهم من المواقف لا على الطريق التي يستغلها هواة المبادئ الهدامة ضدّ الغايات الإنسانية النبيلة ، ولأنّ نجاح كلّ فكرة لا يتم إلاّ باصطناع الوسائل القويّة من الإعلام ، وقد ارتبطت دعوة الحقّ بالوحي ارتباطا عظيما منذ بدأ أمرها ، ونوّه المولى بصفوة من المؤمنين بوأهم في قمة الخير ؛ لأنهم قوامون بالقسط على النشاط الدعوي في سائر مناكب الحياة ملتزمين ما يقولون ، وبهذا انتصر الحقّ على الباطل ، والخير على الشرّ ، وعندما يؤكّد المعجم معنى « الظرف» وحسن التناول ، وهو بيان للوجوه الدقيقة والمواطن التي يجود فيها الكلام ويروع ويدق ، وما يتعلّق بالأشكال الفنية من اللطافة ، والرشاقة التي لا تموت فيها المعاني والمقاصد لحساب الألفاظ المنمّقة ، وأروع هذه المعاني التهذيب والتقويم تحليا بالفضائل ، وتخليا عن الرذائل ، ولا بدّ أن يعظم به

---

(1) الإفريقي ، لسان العرب ، مادة أدب ١/٢٠٧ .

(2) السعيد ، ذيل أقرب الموارد في فصيح العربية والشوارد ، ص: ٦.

(3) الإفريقي ، لسان العرب ، مادة أدب ١/٢٠٧ .

(4) الزمخشري ، الكشاف ، ١٣

القدر في الأدب الإسلامي ، وليست رواية الأشعار ، والأيام ، والأحساب ، والأنساب ، والأخبار ، وما يتصل بها من معارف هامّة إلاّ لتهذيب السلوك ، وإلانة الطبع ، وصقل الذهن ، وتشفيف النفس ، وتعويد اللسان على ذرابة المنطق السليم في الفكرة ، وفصاحة الكلام ، ليزداد المرء فهما للحياة ، وإدراكا لمجرى الأحداث .

ومع هذا الاهتمام البالغ بجانب الخلق والتهذيب ؛ فإنّ هذا الأدب لا يحمل رواده على قتل اعتبارات فنيّة لحساب قيم سلوكية ، لأنّ مفهوم المنهجية أن نقيم وزنا كبيرا بين الشكل والمضمون وبين الواقعة والمثالية بدون طغيان إحداهما على الأخرى ، والله يقول : ﴿ ٱدْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلْحِكْمَةِ وَٱلْمَوْعِظَةِ ٱلْحَسَنَةِ ﴾ (النحل:١٢٥) وعندما يشيد برفع شأن القيم يأبى إباء شديدا النفاق والرياء بدعوى ما ليس للأديب فيه من نصيب ، وإنّما يلتزم حدود ما وسعه الله عليه من السلوك والطباع ، وإن كان يهديه إلى تقويم العوج والاستقامة على المحجّة .

وما يقال في الإعجاب والإكبار ، فإنّ الأدب الإسلامي يؤكّد وجوه الإبداع الطريف الظريف دون محاكاة عشوائية ، وتقليد فاتر إذ واقع الحياة يقتضي التجديد ، والابتكار ، فلا بدّ من مواكبة هذه الروح التي لا تقف على حدود ضيقة ، وهذا الطريف أساسه اجتهاد واستنباط من أصول وثوابت مقرّرة لا يبدل بها غيرها .

وأما الكثرة ، فإنّ المنهج لا يتنحى عن كلّ ما هو استيعاب للإحاطة والشمولية التي تهب النص القدرة ، إذ أنّ المقصود بالكثرة توخي مناط القوّة لصون كرامة الأدب وأهله وشرفهم في ظلال المجد والعزة ، وما دامت الحياة متعدّدة متشعّبة كان حقّا على الأدب الإسلامي أن تثري وجوهه ، وتتكاثر مواده ، وتتسع دوائره ، وكلّما استوى الأدب قوى الفكرة ، وأثرى العاطفة وأغنى بديع الخيال والصورة ، ولبى رغبات الناس ، وصنع في قلوبهم صنيع

الغيث في الأرض القاحلة ، خصوصا إذا ما علمنا أنّ فترة استرداد المجد والسؤدد تنشد عزة تهيمن على التراث حفظا ومهابة .

وإذا دعم الأدب بهذه المعالم خلع على ذويه المنعة والأنفة ، وعظمُوا في أعين أعدائهم ، وألهمهم روح التآلف بينهم ، على أنّ النقاد الإسلاميين لا يتتبّعون العورة ، ولا يتعمّدون الفضيحة ، إلاّ بقدر ما كانوا يشجّعون ويحرصون على إيقاد الهمم ، لأنّ الأدب الإسلامي الأصيل سيؤدي رسالته السامية في إيقاظ الأمّة الإسلامية ، وبثّ الوعي فيها وإعادتها لتكون كما أراد الله بها خير أمة أخرجت للنّاس .[1]

أمّا كلمة «الإسلامي» ؛ فنسبة إلى الدّين الحنيف مصدر أسلم ، وهو تمام الانقياد والطاعة لربّ العالمين ، قيوم السماوات والأرض ، والدخول في السلم بأن يسلم كلّ واحد من الآخر دون أن يناله من ألم غيره ، وذلك على ضربين : أحدهما دون الإيمان وهو الاعتراف باللسان ، وبه يحقن الدم ، ومنه قوله تعالى : ﴿ قَالَتِ ٱلْأَعْرَابُ ءَامَنَّا ۖ قُل لَّمْ تُؤْمِنُوا۟ وَلَٰكِن قُولُوٓا۟ أَسْلَمْنَا ﴾ (الحجرات:١٤)، والثاني : فوق الإيمان، وهو أن يكون مع الاعتراف اعتقاد بالقلب ووفاء بالفعل، واستسلام بالله في جميع ما قضى وقدر ،[2] كما ذكر عن إبراهيم عليه الصلاة والسّلام في قوله : ﴿ إِذْ قَالَ لَهُۥ رَبُّهُۥٓ أَسْلِمْ ۖ قَالَ أَسْلَمْتُ لِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾ (البقرة:١٣١).

ويطلق الإسلام علما على ما بناه الله قيما خالدة تتجلى مظاهرها مبادئ ومقاصد جليلة ، وقد اختاره المولى جلّ شأنه نظما دقيقة ارتضاها منهجا لتنظيم العلاقات الطيّبة بين الخالق ، والخلق ، والكون ، والحياة .

ومن ثم ظلّ طابعا متميّزا شاملا كلّ طاقات إنسانية من ظواهر الحياة التي تلتزم هذه الحدود القويمة من عقيدة ، وعبادة ، وخلق ، واقتصاد ، وسياسة ،

---

(1) الدكتور عبد القدوس أبو صالح ، مقدمة الشعر الإسلامي الحديث (٦) بتصرف يسير.
(2) الراغب الأصفاني ، مفردات ألفاظ القرآن ، مادة (سلم).

وعلم ، وفكر ، وأدب ، وفنّ ، بل كلّ ما في مناحي الكون ما دام يسير على منهج الله الذي أناره لعباده ، ولا بأس أن يتصف الأدب به إذا ما راعى هذه الحدود الجلية رعاية كريمة .

وعلى هذه المعالم الواضحة ، تنهض منهجية الأدب الإسلامي من أسس قويّة نابعة من المنطلق السليم الذي يتعارف به العلماء ، ولا يتعارض مع الفطرة الإنسانية ، بل إنّه منهج الله لا تعقيد فيه ، ولا غموض ولا خفاء ، يتجلى ليله بهاء كنهاره ، وعلى مدى هذا التتبّع المعجمي الدقيق تستقيم صحة الاصطلاح : إنّه « تعبير فنّي جميل هادف عن الخالق والخلق والكون والحياة حسب الالتزام الإسلامي »[1] ، قال عزّ من قائل :

﴿ وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلاً مِّمَّن دَعَآ إِلَى ٱللَّهِ وَعَمِلَ صَٰلِحًا وَقَالَ إِنَّنِى مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴾ (فصلت:٣٣).

* * *

(1) رابطة العالم الإسلامي العالمية التعريف بالرابطة ، ص: ٩.

obeikan.com